جريمة في النادي

بقلم: لسلي شارتري

جرت هذه القصة في مساء يوم من ليالي الصيف..

وحدثت وقائعها على شاطئ البحر في " فلوريدا ".. وفي , النادي، الذي كان يشغل قسم كبيرة من مؤخرة السفينة..

وكان القمر بدرا كاملا.. يطل على الشاطئ بأنواره، وملأ الدنيا حوله طراوة ورقة وجمالاً..

وكان الجمع الذي يملأ الطريق.. من الشاطئ إلى السفينة، مؤلفاً بأكثريته من نساء لا يزال رجالهن يعملن في المكاتب.. ورجال يحملون آلاف الدولارات في جيوبهم، ويؤملون ان يوافيهم الحظ في العاب القرار، فيتضاعف ما يحملونه من الدولارات..

وكان هناك أخيرا وبين هؤلاء الذين كانوا يقصدون النادي المستر "سيمون تمبلر ".. و "باتريشيا هولمز" صديقته..

والمستر "سيمون تمبلر " شخصية غريبة.. فقد كانوا يسمونه، وبعبارة أخرى كان يدعو نفسه " القديس".. وهو بالتأكيد ابعد ما يكون عن القداسة..

وكانت سيارة تمبلر وصديقته.. تسير خلف خط طويل من السيارات

في طريقها إلى "النادي الذي أقامه أصحابه فوق السفينة على شاطئ فلوريدا، و كانت باتريشيا قد استرخت في مكانها إلى جانبه، تنظر إلى القمر المطل عليها من عل، وفجأة هتفت تقول:

– سيمون.. انظر إلى القمر.. انه يبدو وكأنه ليس حقيقياً..

– هو ما تقولين يا صديقتي.. فان رئيس غرفة التجارة هو الذي يعلقه كل ليلة، ثم يرفعه في الصباح..

فقالت وهي تتنهد:

– لو كنت تنعم بشيء من التقدير الجمال الطبيعة لما قلت هذا الكلام..

– ولسوف أكون اضعف تقديراً حين نصل إلى النادي . وقالت الفتاة بعد قليل:

– لا بد ان يكون في الجو شيئا.. ولولا هذا ما أرسلت " ليدا فريتي " تستدعيك على التلفون..

– انت تعرفينها أكثر مني.. فهل هي من النوع التي تهزها الصغائر، وتخيفها الأوهام ؟..

– ابداً.. فهي فتاة متزنة من عائلة محترمة، وزوجها ضابط في البحرية، ولا بد أنها وقعت في مأزق لترسل في طلبك..

– إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم ترسل خلف الشريف، فان البوليس عادة هم الذين يقومون بتصفية مشاكل الناس، وليس أنا طبعا.. يبدو أننا وصلنا..

وبدت في الواقع أنوار "النادي" أمامهما..

وكان عليهما أن يسيرا في طريق حفت به من الجانبين أشجار النخيل، إلى ان وصلا أخيرا إلى ارض واسعة كبيرة، اصطفت فيها عشرات السيارات من جميع الأجناس والألوان.. و تطلع " سيمون تمبلر " وهو يقف بسيارته جانباً، إلى شخص يرتدي بذلة بحرية فابتسم وقال:

– علينا أن نستقبل الأميرال.. الآن..

وتقدم الرجل الذي اسماه "سيمون" بالأميرال نحوهما، وبعد آن حدق النظر فيهما مليا قال:

– هل حجز نما سلف مكان على السفينة ؟

– فقال سيمون:

لا.. لم نفعل..

– إذا فأنا متأسف، لأني لا استطيع ان اسمح لك بالصعود إليها..

وصاحت "بات" تقول:

– ولكننا أتينا من مكان بعيد، لنمضي السهرة في النادي..

– متأسف يا آنسة، لان المكان يعج بالناس، ولا محل فيه لزائر جديد..

وقال سيمون:

– أقدم لك الآنسة باتريشيا هولمز.. ثم أقدم لك نفسي.. "سيمون تمبلر"..

– متأسف يا سيدي.. ولكن..

وقطع الرجل جملته ثم حدق في وجه تمبلر قليلاً وقال:

– تقول... "سيمون تمبلر"..

– نعم..

– يا إلهي لقد سمعت باسمك.. ولكني مع هذا لا استطيع السماح لك بالصعود إلى سطح السفينة..

– قد تستطيع أن تمنعنا، ولكنك لن تقف في وجهنا على كل حال..

و قالت "بات":

ثم أننا مدعوان إلى هذا المكان..

– ولماذا لم تقولا ذلك ؟

فقال تمبلر:

– لان أحدا لم يسألنا.. والمسز فريتي هي التي دعتنا على كل حال..

واهتم "الأميرال" عند سماع الاسم وقال:

– إذا تفضلا بالصعود إلى السفينة.. وأرجو المعذرة عما بدر مني، لأني لم أكن اعرف الحقيقة...

فلما احتوتهما صالة الألعاب الكبيرة، أدارت "بات" وجهها في الجمهور حولها، ثم هتفت تقول:

– لست أشاهد "ليدا ".. لقد قالت على التلفون أنها ستكون بانتظارنا هنا في الصالة الكبرى..

– لعلها تأخرت عن الحضور.. فان النساء كما تعلمين ابدأ كذلك، يتأخرن عن المواعيد.. هل تريدين ان نلعب، أم تفضلين ان انظر إلى عينيك.. وتنظرين إلى عيني..

وهتفت "بات" تقول:

– في المرة القادمة..

– صه.. لا تنظري إلى ما حولك الآن.. فان مخلوقاً طويلا يتقدم نحونا...

ولم يكن الرجل الذي تقدم إليهما طويلا جدة، ولكنه كان هادئة ثابت الخطو، باسم الوجه راضية عن نفسه وعن عمله.. كما بدا من وجهه.. هتف يقول لما وصل إليهما:

– مساء الخير.. اسمها لي بان أقدم نفسي.. أني "استيبان" مرحبا بكم في "نادي السفينة"..

وقال تمبلر:

– كيف انت يا مستر استيبان.. لا بد انك في أحسن حال كما يبدو من وجهك..

وابتسم " استيبان" وقال:

– أن الأمور تسير في أحسن حال، ونستقبل في كل مساء عددا كبيرة من الزائرين واللاعبين.. ما الذي تفضلانه من الألعاب.. الروليت أم البكارا.. أم..

فقال تمبلر:

– ليس مثل هذه السرعة، لأننا نبحث عن صديقة.. المسز فريتي.. .

وتحركت عينا الرجل وهو يقول:

– المسز فريتي..

– نعم.. فهي هنا أليس كذلك ؟

– لقد كانت هنا.. وأظن أنها ذهبت..

– هل رأيتها تذهب بنفسك ؟

– لا.. فان الناس كثيرون، وليس باستطاعتي رؤية كل من يأتي أو يذهب..

فقال تمبلر بهدوء مرعب:

– لقد تلفنت تدعونا وتقول أنها سوف تنتظرنا.. ومن الصعب أن تذهب وتترك من دعتهم إليها.. متى ذهبت ؟

فقال استيبان:

– سوف اسأل الخدم عن ذلك لان المسز فريتي، تقامر مبالغ كبيرة دائمة.. ولا يبعد ان تكون قد خسرت، وذهبت لتجلب بعض المال لتمضي في اللعب حتى النهاية، أو حتى تعوض خسارتها على الأقل..

« تفضلا بالجلوس على سطح السفينة، ريثما اسأل عن المسز فريتي..."

وغادرها استيبان وأرسل احد الخدم يسألها عما يريدان،

فطلب تمبلر قدحاً من الويسكي ولصديقته مثله..

وفيما كان الخادم يضع الشراب على المنضدة، سمعا صوتاً، صوت رصاصة يدوي.. خيل للفتاة انه أتى من بين الأشجار القائمة على مقربة من الشاطئ.. فصاحت:

– ما هذا ؟

فقال الخادم:

– لا بد ان هذا صوت سيارة أراد صاحبها إيقافها فجأة.. فسألت بات صديقها:

– هل هذا صوت سيارة أم زورق بخاري في البحر ؟

– أبدا.. تعالي معي يا عزيزتي..

وأسرع " تمبلر" يغادر السفينة إلى الحديقة الكبيرة التي كانت تعج بأشجار النخيل والواقعة على مقربة من الشاطئ..

وبعد دقائق عثرا على الجثة..

وكانت جثة " ليدا فريتي " صديقتهما، وقد وجداها ملقاة تحت شجرة، وبيدها مسدسها.. وعلى صدرها الأيمن اثر الرصاصة التي خرجت من المسدس فأصابت منها مقتلا..

راح تمبلر يفحص الجثة، ويفحص الأرض حولها، وقد تأكد له الآن

السبب الذي من اجله أرسلت الفتاة في طلبه... سألته "بات":

– هل هي... ؟ فهز رأسه وقال:

– نعم.. لقد انتهت مخاوفها يا عزيزتي..

وسمع الصديقان صوت خطوات خفيفة فاستدارا، فشاهدا استبيان يتقدم نحوهما..

فقال تمبلر:

– لقد عثرت عليها أخيراً..

– هل هي..؟

– طبعا..

– لقد اخبرني الخادم بان هناك بعض المتاعب.. فهل وجدتها على هذه الحالة.. ؟

– نعم..

– كم أنا متأسف حزين لموتها فقد كانت فتاة لطيفة..

– يبدو أن شخصاً لم يكن يرى رأيك..

وقال استيبان وهو يشير إلى الجثة:

– ولكنها تمسك المسدس بيدها، فلماذا تحاول إقحام شخص آخر في هذه القضية..

– لأنها لم تنتحر... وإنما قتلت..

– هذا مستحيل يا مستر تمبلر.. فهي قد انتحرت، وكل شيء حولها يؤكد ذلك..

وصاحت بات:

– لا يمكن أن تنتحر، فلم يكن هناك في حياتها ما يدعو إلى ذلك..

وقال استيبان بحزن:

ولكنها قد فعلت لكثرة ما خسرته في القار من الأموال... ولعلها خسرت أكثر مما تستطيع احتماله..

سأله تمبلر:

– كم تقدر خسارتها..؟

– لست ادري.. فنحن لا نحتفظ بمثل هذه الحسابات، ولكنها كانت دائما تقامر مبالغ كبيرة.. وعلى الآن أن أدعو البوليس، فأرجوك ان لا تمس الجثة.. ولا تحرك شيئا في المكان .

وقال تمبلر بهدوء:

– أظن أننا سنضطر إلى تحريك أشياء كثيرة قبل طلوع النهار..

كان على " تمبلر" أن يطرح بعض الأسئلة قبل مجيء البوليس، فتوجه إلى حيث يقف "الأميرال" أمام باب السفينة، فاستقبله هذا باسماً..

فقال له تمبلر:

– أني في سبيلي لبعض المعلومات عن الحادثة التي وقعت منذ دقائق..

– تفضل يا سيدي..

– هل شاهدت مسز فريتي تغادر النادي ؟

– نعم.. لقد شاهدتها تغادره منذ خمسة عشرة دقيقة..

– لماذا لم تمنعها..؟ ألم تكن تعلم أننا في سبيلنا إليها ؟..

– لقد ظننت انك اجتمعت إليها ورأيتها.. كما انه ليس من شأني التعرض للزبائن.. أذن فأنت لم تشاهدها ولم تجتمع إليها ؟

– هو ما تقول.. ولكن احدهم تمكن منها..

– إني لا افهم ما تعني يا سيدي..

– لقد ماتت..

وفتح " الأميرال " فمه من الدهشة، وصاح:

– ولكنها كانت تبتسم لما غادرت النادي، وأعطتني دولار، فلو علمت أنها سوف تقتل نفسها لما تركتها تغادر المكان..

وحدق " تمبلر" النظر في وجهه مليا ثم سأله: .

– لست اذكر أني ذكرت شيئاً عن الانتحار... فمن أين عرفت أنها انتحرت..؟

وهز الرجل رأسه وقال:

– و كيف تفسر موتها..؟ ان أحداً لا يتعرض لهذه الفتاة الجميلة بسوء، حدثني يا سيدي بما تعرفه ؟

– لقد أطلق احدهم عليها الرصاص في الطرف الآخر من البناء.. و بالقرب من الشاطئ.. فهل شاهدت أحدا يحوم حول هذا المكان ؟

– أبدا لم أشاهد أحدا غيرها، وكنت أظنها في سبيلها لسيارتها..

وتر كه " تمبلر " ومضى مع "بات" إلى النادي، حيث طلب قدح، وراح يفكر..

وبعد قليل اقبل "استيبان" ينبئه بوصول الشريف، فذهب إليه فوجده جالسا خلف مكتب استيبان، فلما شاهده هذا هتف يقول:

– لم أكن أتوقع أن أراك هنا، ولا أنا راض عن رؤيتك في الوقت نفسه.. ولتعلم اني شاهدت الجثة، وسمعت أقوال المستر استبيان، وقد علمت منه انك جئت مع صديقتك للاجتماع إلى المرأة المقبولة..

– لم تأت للاجتماع إلى القتيلة... وإنما إلى امرأة حية.. فقال الشريف:

– هذا صحيح ولكن المشكلة معك.. انك تكون دائما في المكان الذي تقع فيه المشاكل، أو الذي سوف تقع فيه المشاكل بعد قدومك إليه، ولهذا تراني كثير الاهتمام ما تعرفه..؟

– أرجو ان لا يتبادر إلى ذهنك أني قتلتها..؟

– لا.. لان كل الدلائل تؤكد أنها انتحرت..

– هل تؤمن انت أيضا بهذه النظرية..؟

وكان ان اعتذر " استيبان " في هذه اللحظة بعمله، فأشار إليه

الشريف ليذهب، ثم التفت إلى تمبلر يقول:

– انه لم يساعدني بشيء..

– هل انت واثق انه لا يستطيع المساعدة لو أراد..؟

فقال الشريف:

– لنعد إلى نظريتك فأنت لا تؤمن بانتحارها.. ولكن هذا ما وقع باعتقادي..

وقالت "بات":

– آن محفظة "ليدا " الصغيرة، من الضيق بحيث لا تستطيع

حمل مسدسها فيها...

وقال " تمبلر ": كما أني الفت نظرك إلى شيء مستحيل، وهو أني فحصت المسدس...

– وكذلك فعلت أنا وشاهدت الخيط الأبيض المعلق حول فوهته..

. حسناً.. أهنئك على هذه السرعة في الملاحظة، والفت نظرك إلى أن هذا الخط لا علاقة له بفستان الضحية الذي تختلف خيوطه عن هذا الخيط، مما يقطع بان شخصا آخر، قد حاول تنظيف المسدس منديله، ليمسح كل اثر لبصمات أصابعه..

ولكن الشريف لم يقنع بهذه النظرية، ولفت نظر "تمبلر" إلى انه كان دائما يهتم بأموال الآخرين، وما لا يتعلق به من شؤونهم..

فقال تمبلر:

– إذا كان هذا رأيك فلسوف أتركك لأحلامك..

وغادر الغرفة يبحث عن " استيبان"، فلما شاهده هذا صاح:

– كم هو جميل القمر الليلة.. هل تركك الشريف تذهب في سبيلك ؟

– طبعاً كما فعل معك.. لكنه سألنا البقاء في المكان بعض الوقت..

وبدأ ضيق الصدر على وجه " استيبان" وقال:

– لم أكن اعتقد انه سوف يهمك البقاء هنا بعد انتحار صديقتك..

– ان المسز فريتي لم تنتحر.. ولا كان يهمها خسارة بضعة آلاف من الدولارات.. كما اعتقد ان هناك مرة في هذه القضية..

– وهذا السر..؟

– لست ادري الآن.. من الذي رافقها إلى هذا المكان ؟

وقالت بات:

– هذا صحيح.. فزوجها موجود في "طوكيو" الآن.. وهي لا تأتي عادة إلى هذا المكان بمفردها..

فقال استيبان:

– ألم تقولا أن مسز فريتي جاءت إلى هذا المكان الاجتماع بكما ؟

فقال تمبلر:

– هذه الليلة طبعاً.. ولكنها هذه ليست زيارتها الأولى، والأميرال مراقب الباب يعرفها جيداً، فمن الذي كان يرافقها عندما تزور هذا النادي عادة ؟

فقال استيبان:

– إني لا أسئل هذه الأسئلة.. ولا أبحث هذه الأمور..

فقال تمبلر:

– عليك أن تفهم أن باستطاعتي إزعاجك كثيراً، كما ان باستطاعتي خدمتك كثيراً..

واهتز استيبان لما سمع هذا التهديد، وقال:

– أتريد ان تخيفني..؟

– لست الوحيد الذي أخفته..

– ما الذي ستفعله إذا خدمتك..؟

– هذا يتوقف على المعلومات التي سوف تقدمها لي.. ولكن الذي يجب أن تعلمه هو أني شديد النقمة على الذين يقتلون أصدقائي..

– لقد أتت مسز فريتي إلى هذا المكان برفقة المستر "موريس كر" وهو صديقها كما يقال... رجل كهل ولكنه الطيف جدا.. ويسكن قريبة من هذا المكان..

وذهب "تمبلر" وصديقته إلى منزل المستر " موريس" حيث قدم نفسه

وصديقته إليه، وسأله فيما إذا كان قد رافق مسز فريتي الليلة إلى نادي السفينة..

واعترف الرجل بمرافقتها إلى النادي، فسأله تبار:

– لماذا غادرت النادي بدونها:

– هل لي ان اعرف سبب اهتمامك بهذا الأمر ؟

فقالت بات:

– طبعاً.. فقد كانت مسز فريتي صديقتنا، وقد سألتنا مساعدتها..

وقال تمبلر: وقد فعلت هذا قبل موتها..

واهتز "كر" لما سمع الخبر، وقال: هذا فظيع.. هل خسرت كثيرة هذه الليلة ؟

– ما معنى هذا السؤال.. ؟

– لعل هذا هو السبب الذي حملها على قتل نفسها..

– لقد أصيبت "ليدا" برصاصة في صدرها..

– أتريد تخويفي.. فان ليدا لا يمكن..

– من أخبرك أن ليدا قد انتحرت.. به خاطر طرأ على بالي.. بعد الذي سمعته عن موتها..

– لا.. ان هناك سبباً آخر.. إما أن يكون احدهم قد تحدث إليك هذه النظرية، أو انك تعرف أسبابا تدعو ليدا إلى الانتحار..

– بأي حق تلقي على هذه الأسئلة..؟

– لأجنبك مواجهة البوليس، لأنك بالتأكيد سوف تقف أمام المحقق إذا كانت المسدس الذي قتلت به " ليدا "... هو مسدسك.. مثلا..

كانت رمية في الهواء، ولكنها أصابت "كر" في الصميم، فسأل عن نوع المسدس، فقال له " تمبلر".. انه من عيار ٣٢، فاعترف عندئذ بان المسدس مسدسه، وان "ليدا" قد استعارته منه هذه الليلة بالذات.. وانه لم يفكر أنها كانت تريد الانتحار به.. إلا بعد..

– إلا بعد ان حدثك شخص بأمره، فمن هو هذا الشخص ؟

– لقد تلفن لي شخص من النادي لا اعرفه.. يقول أن مسز فريتي قد انتحرت وانك في طريقك إلى مقابلتي.. وان " استيبان " طلب منه إخباري بذلك...

واعترف "كر" بأنه يقوم بتطبيق الناس لزيارة النادي وان له عمولة على ذلك.. وهو عمل شريف لا غبار عليه..

وأشار تمبلر إلى صديقته، فغادرا المنزل، دون أن يلقيا نظرة على الرجل الذي انهار بعد ذهابهما..

قالت "بات" في الطريق:

– لماذا تركت الرجل وقد اعترف بأنه يعمل لحساب " استيبان" وان المسدس مسدسه..؟

– لو انه كان القاتل لم اترك مسدسه في يد الضحية، ولأخذه معه..

وكان أن وصل " تمبلر " وصديقته إلى باب النادي فتقدم "الأميرال" يدعوهم إلى العودة، لأن الأوامر قد صدرت له بعدم قبول زائرين جدد.. فحاول تمبلر إقناعه بان الشريف يريده، وأن عليه أن يسمح لها بالدخول.. ولكن الأميرال أو "هوراتيو" أصرّ على منعه، معتذرا بالتعليمات الجديدة التي صدرت له بهذا الشأن..

وكان أن سقطت على وجهه قبضة " تمبلر " بمثل لمح البصر، وتلتها قبضة ثانية في بطنه، فسقط الرجل لا يعي، فحمله " تمبلر" من مكانه إلى دغل بين الأشجار حيث ربطه بعقدة رقته و سترته.. وطلب من "بات" أن تذهب فتشغل " استيبان" بالحديث، بحيث تجعل ظهره إلى الباب..

وبعد دقائق وصل تمبلر، وجاء من خلف استيبان، فوضع رأس مسدسه في ظهره وهو في جيبه.. وقال له بصوت منخفض:

– ليس هذا غليوني.. فتعال معي إلى مكتبك بدون ضجة..

وصدع استيبان بالأمر، ومضى الثلاثة إلى غرفته الخاصة، فلما احتوتهم طلب "تمبلر" منه فتح الخزانة الحديدية فصدع الرجل بالأمر بعد تردد..

ومضى استيبان إلى الخزانة الحديدية... والعرق يتصبب منه، ففتحها، واخذ " تمبلر " بفحص ما فيها من الأوراق، وفي هذه اللحظة اقبل الشريف، وسأل عن معنى هذا العمل ؟

فأجابه تمبلر: معناه أنني أريد ان أقدم لك الوثيقة التي تجعلك تقرر القبض على القاتل..

" خذ مثلاً هذا الدفتر الذي عثرت عليه، أن فيه معلومات عن الأشخاص و عبثهم وحركاتهم وعناوينهم.. وهي معلومات لو أسيء استعمالها لأضرت بالكثيرين ضرراً عظيماً، لقد وجدته مع "الأميرال" حارس بارك السيارات.. فأردت ان أتحقق فيما إذا كان استيبان يتعاون معه في الاحتيالات التي كان يقوم بها، فقد كان مثلا يراقب جميع من ينزلون إلى الحديقة، حتى إذا عثر على فتاة ورجل، يتحدثان ويتغازلان، كتب هذا في مذكراته، وذكر الساعة والتاريخ والكلمات التي سمعها، ثم مضى يطلب من صاحب المصلحة مبلغا لسكوته أو يبعث بالخبر إلى الزوج.. ويبدو أن صديقتنا "ليدا" قد تعابثت مع " موريس كر" وهي في الحديقة، وشاهد "الأميرال" القبل، فسجل الحادث في دفتره، ثم طلب منها ما ثمنا لسكوته، ولم تكن الفتاة من يرضخن، فرفضت، وسألتني المساعدة، ولا يبعد أنها أخبرته بقرب قدومي، وهددته بالمسدس أن حاول شيئا ضدها، فكان أن جن جنونه وهجم عليها منتزعة المسدس منها و مطلق النار عليها، واني مقدم إليك القفاز الأبيض الذي كان بلبسه، وستجد أن الخط الذي وجد على المسدس هو منه، وهذا كاف لشنقه مع الدفتر الذي كان يحتفظ به في جيبه..

وصاح استيبان يقول:

– لقد اتفقت مع هذا القدر على ان اؤجره الحديقة لاستعمالها، وحبس السيارات فيها

، مقابل نصف الأرباح، ولكني لم أكن اعلم انه قد استعان بها لمثل

هذه الغايات القذرة، وللشانتاج على الزبائن..

كان عليها أن تحيا وتعيش رغم المصائب التي تتابعت، والمتاعب التي تلاحقت، بعد أن قوات الحرب دعائم بيتها، فسقط عليها، ولكنها تمكنت من الاحتفاظ برأسها سالمة بعد آن خرجت من تحت الأنقاض..

ولقد تزوجت "كوني شارلي" كليفورد شاترلي عام ١٩١٧، لما عاد من الحرب لقضاء شهر في ارض الوطن يستعيد فيه نشاطه وصحته، فلما عاد إلى ميدان الحرب بعد ذلك أصيب بعد ستة أشهر، ونقل إلى انكلترا، وهو شه مشلول، وامرأته كونستانس لا تزال في فجر حياتها، بل في الثالث والعشرين من عمرها، وأما زوجها فكان يكبرها بسنوات ست..

وتسلم الأطباء الزوج يعالجونه، وبعد سنتين تمكنوا من إنقاذه من الموت، وأعلنوا ان جزؤه الأسفل سيظل مشلولا طوال حياته.. سوف يتحرك الرأس والصدر، وأما الباقي من أجزاء جسمه، فقد تجمد إلى الأبد..

وعاد الزوجان إلى منزلها في " رغي " مقر أسرة شاترلي، وكان والد المشلول قد مات فال إلى ابنه هذا لقب البارونية، وما تركه له من المال، كما أصبحت كونستانس اللادي شاترلي..

وكان على الزوجين بعد ان أصبحت مواردها محدودة ان يلزما جانب الاقتصاد، ويعيشا عيشة الكفاف..

وراض البارون نفسه على هذه الحياة المحدودة الضيقة، فاشترى عربة ذات عجلات، لها آلة صغيرة تحركها بيده، فيجوس فيها الحديقة وفناء

المنزل، حتى تعود عليها، وألف الحياة فيها.. وكان إلى هذا جميل الوجه، عريض المنكبين، أنيقة في هندامه و ملابسه...

وكانت زوجته مثله أصالة حسب، وعلو نسب... وقد دخلت الجامعة هي وأختها، فلما خرجت إلى العالم تعلمت فيه ما لم تعلمها المدرسة من أصول الحديث ولباقة التصرف وطراوة الخلق..

ولكن هذا كله لم يمنعهما لما بلغت سن الشباب والبقاع من الحب والعشق و معرفة أسرار الحياة الجنسية، فلما عادتا إلى منزل والدها سنة ١٩١٣، أحس والدها أنهما قد تبدلتا، ونعما بعبث الحياة وحرارة الرجال، فلم يعتب ولا أقام الدنيا، بل تقبل الأمر الواقع بهدوء، وترك الأمور تسير في سبيلها..

فلما نشبت الحرب شاركت الفتاتان في المجهود الشعبي، وتعرفت كوني على "كلفورد شاترلي" خريج جامعة " كمبردج ".. وكان في الثانية والعشرين من عمره، فافتتن بجمالها، واقترن بها في سنة ١٩١٧، فلما كانت سنة ١٩١٨، عاد " كلفورد" إلى ارض الوطن محمولا على الأكف في معركة من المعارك، حتى استقر مشلولا كما أسلفنا، يعيش مع زوجته الفاتنة اللعوب دون أن يستطيع لها قرب ولا وصلا..

وكان المنزل قديماً عتيقاً شيد في القرن الثامن عشر، يتوسط حديقة يكثر فيها شجر البلوط، وخطوط من الزهور، والورود، وقد ضاقت "كوني" صدراً بهذا البيت الهادئ الساكن، وهذه الحياة الجامدة، ثم ما عتمت ان تعودتهما وألفتهما.. وسكنت إليهما، وان كانت بالتأكيد قد

روعها ان لا يهرع الفلاحون لاستقبال السيد عند قدومه، ولا يتقدمون بالسلام عليه عند وصوله إلى منزله..

ولقد سارت الحياة بين الزوجين هادئة طرية، إلا ما كانت تأخذه " كوني" على زوجها من شدة في معاملته لعمال المنجم، وضيق صدره حين ينظر واحدهم إليه وهو المقعد المشلول..

وكان من المفروض، وهذه حالته، أن يعتمد على زوجه في إدارة شؤونه و منزله، فهي ذراعه وهي روحه وهي كل شيء في حياته، ولكن هذا كله، لم يمنعه في الوقت نفسه من تأليف القصص المثيرة، وكان هذا كل ما يستطيعه، ونجح في قصصه هذه، فقرظها بعض النقاد، وعابها آخرون، لان كل شيء فيها كان يوحي بأن وقائعها حدثت في ارض أخرى وبين قوم آخرين.. لا حياة فيهم ولا نشاط عندهم..

ولقد حدث أن زار والد "كوني" ابنته في فصل الربيع، ونظر إليها مشفقة وهو يقول:

– انك تذبلين كالزهرة يا عزيزتي، وأخشى ما أخشاه أن تضطر الأيام إلى مثل هذه الحياة من البتولة..

كما تحدث إلى زوجها بالأمر نفسه، ولكن الزوج لما يفاتح زوجته بشيء من هذا، فقد هاله ان يبحث هذا الموضوع مع زوجته، وهو ما سوف يؤكد بعدها الواحد عن الآخر بجسديهما..

وفطنت كوني أن والدها يتحدث إلى زوجها بأمرها، وأن زوجها تجاهل وحدتها، ولم يلق بالاً لما هي فيه من ضيق صدر وشقاء..

وتقطعت سنتان.. كلفورد يكتب، والزوجة تتابع م يكتبه، ثم يأخذان بأطراف الحديث حول اللغة وأسلوب القصة وموضوعها.. فإذا انتهى ذلك هالها الفراغ الذي يعيشان فيه ولا يفرغان منه..

وأحست كوني مع الأيام بهذا الضيق الذي أخذ يحتويها، ويسيطر على حياتها، وبهذا الفراغ الذي طوقها، فكانت تفر من المنزل هاربة من "كلفورد"... لتلقي نفسها على الأعشاب المخضوضرة في الحديقة، حتى لا تفقد عقلها...

كانت بحاجة ملحة إلى شيء من الحرية، وشيء من الانطلاق، وشيء من الحب بالتأكيد بعد أن فقدت كل شيء، حتى والدها عاد يحذرها من النهاية المروعة التي تتعرض لها، ويقول لها:

– عليك أن تشغلي نفسك برجل آخر قبل أن تفقدي نضارتك وحياتك..

وكان أن زار المنزل في الشتاء المستر ميكايل الايرلندي، وهو من الشباب الموثرين.. يؤلف الروايات التمثيلية، ويبيعها لأميركا، وكان فريدة وحيدة مثلها، إلا انه كان يتحرك من مكانه فلا يستقر في بلد ولا مدينة، فلما زار " كلفورد " قرابة هذا إليه، لعله يساعده في نشر كتبه والدعاية لها، وكان أن تعرفت "كوفي" على هذا الشاب، وأرضاها منه تواضعه و قلة اكتراثه لما يكتب او ينشر، وأحست بشيء يجذبها إليه، والتقى النظران، وابتسما، ومد يده وامسك بيدها، ثم ركع بقر بها وأحاط ساقيها بيديه، ودفن رأسه بين قدميها وظل جامدة في مكانه..

وبعد قليل نظر إليها بضراعة، فلم تقو على الصمود، فأعطته ما عندها، وأعطاها ما عنده، وهو يقول:

– أرجو ان لا تكرهيني..

– قالت: كيف أكرهك وقد فتحت أمامي أبواب الجنة..

وضاق صدر الزوج منه بعد أيام، ودافعت كوني عنه، و قالت لزوجها:

– لقد خدمك كثيراً فما بالك انقلبت عليه الآن

وأحست في قرارة نفسها أنها تحميه، أو هي تظن أنها تحميه..

وتقطعت أيام.. كان يجتمع فيها العشيقان ويتناجيان، ويشربان كؤوس الغرام في غفلة من الزوج والخدم، وكان آن عادت إليها نفسها المنهارة بعد هذه الاجتماعات، وهذا العشق الجديد، فعاد البشر إلى محياها، وتحركت عيناها كما لم تتحركا في الماضي..

وكان كلفورد في الوقت نفسه قد أخذ يزداد سهرة وثراء، بعد أن انتشرت قصصه وأعجب الناس بها، واخذ الكثيرون من رجال الأدب والتأليف يزورونه في منزله، ويقصدونه للاجتماع الله.. والتحدث معه..

وكانت "كوفي" تجلس إليهم وتسمع لحديثهم، ولكنها كانت ابدأ في جو آخر غير جوهم.. .

كانت أبداً تفكر بالرجل الذي سوف تكتمل معه حياتها، وتنعم بلذتها.. الرجل الذي لا تستطيع بدونه حياة ولا سعادة..

وفي صباح يوم من أيام الجمعة، خرج كلفورد مع زوجته إلى الغابة التي

كانت تحيط بمنزله، والتي أقام عليها حارسا شابا.. حتى يمنع الناس من دخولها، وحتي يخلو فيها لنفسه جالسا تحت أشجار البلوط المحببة عنده، لا يعكر صفو تفكيره معكر ولا طارق..

فلما وصلا إلى مرتفع فيها، أوقف عجلته، وجلست كوني على صخرة كبيرة يتأملان الأرض العارية من الأشجار حولها، والتي عراها والد "كلفورد " من شجرها..

وأعرب " كلفورد " عن نقمته على والده لما فعله من تعرية هذه الناحية من الغاية من أشجارها..

وأجابته زوجته:

– ولكنه فعل هذا ليوفر الوقود للحكومة لتمضى في جهودها الحربية.. ثم أن هذه الغاية ستؤول في المستقبل إلى سواك من سوف يزيلون كل معالمها..

قال: صدقت.. ما دمت لا املك ذرية ترث الأرض من بعدي..

قالت:

– يا إلهي لو كان لنا أن نرعاه ويرعى بدوره الغابة بعدنا..

وقال:

– لماذا تقولين " لو ".. ما يمنع أن يكون لنا ولد من رجل آخر.. ومتى أصبح الطفل عندنا شعرنا بأنه لنا..

وحدقت في وجهه..

لقد كان ينظر إلى الولد.. إلى الطفل.. كما لو كان شجرة أو قطعة من أثاث البيت..

وسألته بهدوء:

- ومن يكون هذا الرجل الآخر ؟

- وأجاب: أن هذا لا يمثل مشكلة أبدا..

- وفكرت "كوني" في ميكايل..

ثم تذكرت أن زوجها عقته.. وإذا كان الأمر كذلك، فمن هو الرجل الآخر الذي سوف يختاره أو يريده.. بعد أن هان عليه الأمر، فلم يعد يجد فيه كبير أمر..

وسألته:

- وهل يجب علينا أن نختار هذا الرجل الآخر بعد التفكير وأعمال الروية..؟

قال: أني اترك الأمر إلى عقلك وحكمتك، فوالد ابننا..

يجب أن يكون طبعا إنسان بكل ما في الكلمة من معنى.. و من الخير في الوقت نفسه أن لا اعرف والد ابني..

وبعد لحظات ظهر حارس الغابة الجديد ومعه كلب صيد، فلما شاهدها وقف يحيهما، فخافت "كوني " منه، فقد بدا لها مخيف بوجهه الأحمر، وشاربيه الحمراوين، وانحداره هابطة من السفح على غير موعد ولا انتظار...

طلب منه كلفورد.. ان يجر عجلته ليحولها عن اتجاهها، فأسرع إليه بعد أن ألقى بندقيته على كتفه، وكان معتدل القامة، رفيق الجسم، هادئا ساكت، لم يرفع بصره إلى " كوني "، متوجها بأنظاره إلى العجلة التي كان عليه أن يغير اتجاهها..

وعرفه " كلفورد" على زوجته..

وقال لكوني:

– هذا هو حارس الصيد الجديد..

– ورفع الحارس قبعته محيياً، وحدق في عينيها، فحنت رأسها، وفعل مثلها، كما يفعل الرجل المؤدب..

سألته كوني:

– متى جئت إلى هذا المكان ؟

– منذ ثمانية أشهر يا سيدتي..

– وهل أرضاك المكان ؟

– نعم.. فإني من أبناء المنطقة على كل حال..

وكان في صوته بعض الغموض.. وفي حديثه ما يقطع بأنه اختلط بالطبقات العليا، وعمل معها..

ولما بدأ الرجل عمله نظرت إليه " كوني" خلسة فوجدته يؤدي عمله، كجندي يؤدي واجبه، لا كخادم يفعل م ا يؤمر به...

ولما وصلوا إلى الحاجز المؤدي إلى المنزل، أسرعت كوني تفتحه، فنظر إليها الحارس بعينين بدا فيهما الفضول..

لقد كان يريد معرفتها أو معرفة المزيد من حماقها وأخلاقها.. بعد أن أثرت عليه وشغلت نفسه..

ولاحظت "كوني" اهتمامه..

واستطاعت ان تشاهد في عينيه الزرقاوين حزناً رقيقاً، وانطواء وانفراداً، ودفئاً وحرارة..

وعتب كلفورد على زوجته أن تقدمت لفتح الباب.. ولم تترك الحارس "كلورد" يقوم بذلك..

واعتذرت بأنها أرادت الرياضة ورغبت في الركض.. وأنها لم تجد في هذا ما يخالف التقاليد..

وعرفت كوني من زوجها لما انفردا شيئاً جديداً عن حارس الغابة..

فقد كان يعمل عند والده ويثق به.. وكانت له زوجة تركته وفرت مع شخص آخر لما كان جندي في الحرب..

وانه يعيش الآن وحده، وان أمه تعيش في القرية القريبة مع ابنته من زوجته الهاربة..

ومضت الأيام هادئة كئيبة فارغة كما كانت سابقا..

ومضى الزوج يكتب ويؤلف..

ومضت الزوجة تعيش في دوامة من الفراغ القاتل..

ولما أمطرت السماء توقف كلفورد عن الخروج إلى الغابة..

وأما "كوفي" فلم تقطع صلتها بالغابة، فظلت تقصدها وقد سرها أن تخلو فيها إلى نفسها..

وفي ذات يوم كلفها زوجها بمقابلة حارس الصيد لأمر هام.. فقد كان الخادم مريضاً، وليس في المنزل من يقوم بهذه المهمة غيرها..

فلما دنت من منزل حارس الصيد أعجبتها الحديقة التي أنشأها حوله، وسرها ما لحظته فيها من النظام والنظافة..

وقرعت الباب فلم تسمع جوابا..

فنظرت من النافذة إلى الداخل..

فشاهدت الغرفة الصغيرة الهادئة الوديعة المنعزلة، والتي كانت تشبه صاحبها في عزلته وانطوائه..

فدارت حول الكوخ تنحدر في السفح الذي يفضي إلى الغابة من الناحية الثانية..

وما لبثت أن جمدت في مكانها.. فقد شاهدت الحارس يغتسل، وكان عارياً من ملابسه، وكان يدير لكوخه ظهره، فلم يشاهدها، ولحظت بياض بشرته، وبعدها عن التشويه، مع دقة جسم و متانة عضلات..

وأسرعت ترتد من حيث أتت.. خشية أن يراها.. وقد استشعرت في قرارة نفسها بأنه ينعم بجمال خاص به..

وجلست على حجر في الغابة، بعد أن ابتعدت عن المكان قليلا.. وبعد ربع ساعة من الزمن عادت أدراجها متوجهة إلى الكوخ.. فلما قرعته سمعت صوتا يقول:

– الليدي شاترلي.. تفضلي يا سيدتي..

ودخلت "كوني".. وألقت عليه رسالة زوجها..

وراح يتفرس فيها.. وبدا الإعجاب على وجهه..

وسألته:

– هل تعيش وحيداً في هذا المكان..؟

– نعم أعيش بمفردي..

– وأمك ؟

– تعيش في القرية مع ابنتي الصغيرة..

ونظرت كوني إلى عينيه.. فإذا فيهما ابتسامة غير الابتسامة التي على شفتيه..

فارتجفت، و خيل لها أن عينيه قد كفتا عن الابتسام، وإنهما تبكيان، ولكنهما لم يفقدا الدفء اللذيذ الذي تعودته فيهما..

وانثنت تعود من حيث أتت..

ولبث هو يرمقها بنظراته حتى غابت عن نظره..

وتعثرت وهي في الطريق...

تفكر به وبجسده الدافئ..

وكيف انه يختلف عن الأيرلندي و عن زوجها أيضا..

كما انه فريد وحيد أيضا، لم تفسده المدينة ولم تدنسه أوضارها..

أحست "كوفي" بانهيار في أعصابها، فأرسلت تستدعي شقيقتها إليها، حيث ذهبت معها إلى لندن لمشاورة أحد الأطباء، ولكن الطبيب لم يجد فيها ما يدعو إلى القلق، وإنما ألفاها متوترة الأعصاب، فأوصاها بالراحة والسفر والتسلي، فان لم تفعل فأنها بالتأكيد سوف تفقد صحتها و تنهار أعصابها..

وكان أن اتفق الزوجان على الأثر على تكليف ممرضة تعيش وحدها للعناية بكلفورد، فأتت، وأرضت خدمتها الزوج وسر بها وأعجب..

وانصرفت على الأثر "كوني" إلى نفسها تغني وتعزف على البيان، و كان سرورها عظيمة لظفرها بحريتها، فلم يعد من واجبها البقاء في منزلها لتلازم زوجها، طوال النهار، وشطراً من الليل..

وكما اهتمت الممرضة بولتون بالزوج المشلول، اهتمت أيضا بالزوجة الوحيدة الفريدة، فراحت توصيها بالعناية بصحتها، والخروج والى الغابة، والسير تحت أشعة الشمس الدافئة، وان تتنشق الهواء النقي و تعبه عباً..

وتذكرت "كوني" عندئذ حارس الصيد فقصدته، وجلست غير بعيد عن كوخه، حين لم تشاهد حركة حوله..

وفي اليوم التالي وقعت على الحارس وهو يعمل في بناء كوخ جديد،

فجلست بقربه وهي تقول:

– لقد سمعت صوتاً فأردت أن أعرف سببه..

فلما انتهى من عمله قالت له:

ان هذا الكوخ رائع هادئ..

فأجابها: وهو كذلك..

فقالت: ويسرني ان ازور هذا المكان دائماً، فهل تقفل الباب..؟

فلما أجابها بالإيجاب، طلبت منه ان يعطيها مفتاحا ثانياً..

فبدا الغضب على وجهه، وقال انه لا يملك إلا المفتاح الذي معه، فأصرت عليه لكي يصنع لها مفتاحاً خاصاً، فتردد ثم وافق..

وبعد يومين اجتمعا، فعرض عليها المفتاح الذي معه، ثم فاجأها في حديث ملأها غضبا وغيظاً، مما أكد لها انه يريد إغضابها، وان يذلها ويحطمها، واسمعها كلاماً نابياً، فغضت وأفهمته انه خادم ليس إلا..

فضحك ونظر إليها بوقاحة ساخراً، فتركته وفرت لا تلوي على شيء..

وكان كلفورد في الوقت نفسه، قد أصبح إنساناً جديداً بعد العناية التي بذلتها له الممرضة الجديدة..

لقد بعثت في قرارة نفسه بحب الحياة من جديد.. وجعلته يهتم بشؤونه المادية، فراح يذهب إلى المناجم بنفسه، يزورها ويسأل عن شؤون العمل

فيها، ثم يراجع حين يعود إلى منزله تقارير الحكومة والشركات..

وأحس انه لم يعد منطوية على نفسه، ولا أصبح يعيش في الفراغ الذي كان يرهبه ويؤذيه، وأنه أصبح يعمل ويدرس، ويفكر بالنجاح..

وكان حين يجتمع إلى الممرضة يتحدث على طبيعته، فإذا اجتمع إلى زوجته تلعثم وارتبك، كأنما هو يخشاها، وان كان يدرك انه مدين لها بكل شيء..

واقتني كلفورد في هذه الأثناء جهاز راديو، أخذ يصرف كل وقته في الاستماع إليه، مما أدهش زوجته، وجعلها تفكر بان شيئا تتمخض عنه الليالي في داخل الرجل المشلول..

وتولاها القلق حتى لفكرت بمغادرة " رغي " إلى الأبد، ولكن كيف تترك زوجها ؟ وماذا يكون مصيره لو فعلت..

ولكن تبدله العجيب أذهلها، فقد اخذ يتحرك الرجل الصحيح، ويدبر أموره وهو في كرسيه المتحرك، ولكنه كان لا يزال في نظرها ضعيفة، لا يستطيع شيئا..

وسألته يوما بعد أن ظفرت مفتاح الكوخ، فما إذا كان يسره أن يظفر بولد يرثه.. فأجاب بالإيجاب شرط أن لا يفرق هذا بينهما.. .

كانت تعلم انه يعبدها ويحبها.. ولكن من بعيد.. فهو لا يستطيع لها وصولاً، وهو ضعيف يموت أن تخلت عنه وتركته..

راحت تتردد على الكوخ، فإذا التقت الحارس تبادلت معه حديثة

عابرة، ثم تركته وشأنه..

وفي ذات مساء جلست في الكوخ تبكي وحدتها وانطوائها.. وجاء الحارس في هذه اللحظة، يربت على ظهرها، ويقول:

– لا تبكي... وتجلدي..

فحاولت أن تكفكف عبراتها فلم تستطع، فدعاها الحارس بعد ان امسكها من ذراعها للدخول إلى الكوخ، حيث جاء بغطاء فيه حشوة من القطن فبسطه على الأرض، ودعاها لترقد عليه.. ليذهب تعبها...

استلقت على الأرض دون أن تقول شيئاً.. ومدّ الحارس يده يربت على جسدها، ثم أحست بفمه يلمس فمها، وبالقبلة الحارة على شفتيها، فأغمضت عينيها.. ولامس جسده جسدها، وأحاط ذراعيه صدرها.. ونام عليها.. .

ونهض بعد قليل يغادر الكوخ، وأحست "كوني" بشيء من الانفراج في حياتها، وان للحياة سراً عجيباً..

وسألها الحارس:

– هل نذهب إلى البيت ؟

فوافقت.. فقال:

– سوف أصحبك إلي مدخل البيت ثم أعود..

وسألها في أثناء الطريق فما إذا كانت حزينة غاضبة لما وقع بينهما..

فأجابت بالنفي.. وسألته:

– وأنت..؟

– أغضبت لما حدث بيننا.. لا أبداً.. أني مغتبط مسرور .

وذهبت إلى الغابة في اليوم التالي، فاجتمعت إلى الحارس، فنصحها بان تكون لبقة حذرة، فقد يراها الناس، وقد يتحدثون إلى المستر كلفورد بقصتهما..

فأجابته:

– ليس يهمني ما يقال.. فأنا غنية ولدي المال الذي يمكنني من الذهاب إلى حيث أشاء..

– لا تنس انك تتصلين بحارس صيد.. وللناس ألسنة حداد..

قالت: لا يهمني شيء من هذا.. وأعده هراء لا طائل تحته..

وانحنى يقبل وجهها وهو يقول:

– أني لا أخشى على نفسي ولكن عليك.. وإذا أصابك شر.. فلن أتخلى عنك وسأبقى معك..

وقبلها ثانية، وأغلق الباب، واحتواها بين ذراعيه..

واجتمعا بعد يومين، وتمددا على الأرض المعشوشبة، وقال وهو يغادرها بعد ساعة من الزمن:

– لن أصحبك هذه المرة إلى باب المنزل حتى لا يرانا احد..

وناجت نفسها تقول بعد ذهابه:

– ما أسعدني بطفل يعيد إلي حياتي من جديد..

– ولما اجتمعت إلى " كلفورد " أحست باضطرابه وقلقه لغيابها المتتابع..

وأما الممرضة فقد فطنت إلى ان في الأمر سراً، وان كوني لها عشيق تجتمع إليه وتمضي الوقت معه.. وقررت معرفة هذا العشيق..

حتى لقد صرفت ليلها تفكر من يكون.. من يكون عشيق الليدي شاترلي..؟

فلما كانت الساعة الرابعة صباحاً رأته..

لقد رأت حارس الصيد يحمل بندقيته، ويرود حول المنزل من بعيد متلصلصاً، فأدركت انه الرجل..

وانه العاشق الذي يبحث عن عشيقته، ويريد الاطمئنان إليها..

وقالت الممرضة تناجي نفسها:

– انه رجل طيب لا بأس به، ولقد عاملني برفق وحنان بعد موت زوجي.. ولكن ما الذي سيقوله السير كلفورد حين يطلع على أمره ؟

لما تحدثت الممرضة بولتون عن ميلها للأطفال.. هتفت كوني تقول:

– وما يدريك لعلي أقدم إلى "رغي" طفلاً يملأها فرحاً وحياة.. خصوصاً وان المستر كلفوره لا يزال رجلاً ولو كان قد فقد بعض قوته..

وسمع الناس الخبر، كما سمع به المستر كلفورد، فلما سألها عن هذا الخبر، ذعرت ثم ابتسمت وقالت:

– إنما هو مزاح ليس إلا..

فنظر إلى وجهها قليلا ثم قال:

– بل أرجو أن تكون نبوءة لحقيقة سوف تكون..

قالت: لقد تسلمت رسالة من والدي يقول فيها أنه لبى دعوة "السير كوبر" بالنيابة عني لأذهب إلى " البندقية " في هذا الصيف..

سألها: كم ستغيبين..؟

قالت: لا أكثر من شهر واحد..

– أظن أني قادر على تحمل فراقك شهراً واحداً شرط أن أكون واثقاً من عودتك..

قالت: بالتأكيد سأعود..

وانشرح صدر "كالفورد" لسماع هذا التأكيد، وشعر بحمل ثقيل يسقط عن ظهره، وان كانت " كوني " حين فكرت بالعودة قد راحت تفكر بصديقها أكثر مما كانت تفكر بزوجها..

ولما اجتمعت إلى الحارس بعد الغداء، أخبرته بأنها ستسافر إلى البندقية، وأنها قد اطلعت زوجها على بعض سرها، وأنها قد تحمل في القريب العاجل..

فذهل الحارس وقال وهو لا يدري ما يقول:

– وكيف تلقي الصدمة ؟

– انه لم يعتبرها صدمة كما تتوهم، ما دام سيدخل في روع الجميع أن الطفل طفله..

– ولكنك لم تذكري له اسمي..

– طبعاً لا..

– ولكن من أين سوف تأتين بالطفل..؟

– من البندقية، فقد أدخلت في روعه أني سوف أقوم مغامرة مع شخص غريب فيها، احمل منه الطفل المطلوب..

– إذا فقد رضيت بي عاشق للحصول على طفل..؟

– بل لقد فعلت لأني أحببتك..

ولقد ضاق صدر "كوفي" في اليوم التالي من زوجها، بل لقد عنفته حيث كانا يتناولان الطعام، حين شاهدته يعامل عماله معاملة الخدم والعبيد، ويعتبر ما يدفعه لهم من الأجر، ثمنا محترمة لعملهم ولعبوديتهم.. .

وازدادت غضبة لما كلف حارس الصيد ان يدفع عربته إلى السفح العالي، ففعل، ومضت ساعة والحارس النحيل يتصبب عرقاً وهو يدفع العربة، ويرقى بها إلى المرتفع، والسعال الشديد يلازمه ويرغمه على التوقف ليأخذ نفسا بين وقت وآخر..

فقد وجدت في هذه المعاملة القاسية، شيئا لا يطاق، وان في تكاليف العامل ما فوق طاقته، وما قد يلحق الضرر بصحته لأمر لا يجب ان يكون..

ولكن زوجها أجابها:

– لقد ابتعته ومن حقي أن أكلفه بالقيام بما أطلبه من الأعمال منه..

– ابتعته.. ما الذي تدفعه له.. أتدفع له أكثر من جنيهين في الأسبوع.. أتشتري مثل هذا المبلغ إنساناً..؟

وتركته غضبي لجوابه، و لقسوته على عماله، وحبه لنفسه..

ولما اجتمعت إلى الحارس مساء، سألته فيما إذا كان جر العجلة لم يتعبه كثيراً.. فأجاب:

– لقد تولتني نزلة صدرية بسبب جر العجلة ولكنها لم تكن خطيرة جداً..

فنصحته بالحرص على نفسه، ومالت إليه تقبله في وجهه، وضغط عليها والصق جسده بجسدها، وكانت الغرفة دافئة والموقد يتلظى ناراً، فسرى الدفء إلى العاشقين، وتعلقت به وتعلق بها..

فلما وصلت إلى منزلها بعد ذلك، قالت له وهو يهم بالعودة من حيث أتى:

– كم ارغب في البقاء معك لاحيا حياتك.. فلا يفرق بيننا احد..

وكان كلفورد في هذه الأثناء يشغله هان، هم فراق زوجته، وهم

صناعته وإنتاجه، فإذا راح يحدثها بحماسة عن مشاريعه تولاها الملل، ثم يفطن لوجود الممرضة إلى جانبه، فيطلب منها أن تلاعبه الورق، وكان قد زاد راتبها حتى تستطيع ملاعبته، فكانت "كوفي" لا تطيق هذا، فتهرب إلى غرفتها بعد ان تعتذر، ويبقى هو والممرضة التي استساغت القار وألفته، يلعبان جزءا كبيرا من الليل، وكل واحد منهما يريد أن يربح ما يملكه الآخر..

وتلقت "كوفي" في هذه الأثناء رسالة من أختها، لتستعد للسفر في السابع عشر من الشهر، فأعلمت زوجها بالأمر، كما أخبرت عشيقها، وزادت تقول:

– ولتعلم أني سأخبر كلفورد عند عودتي برغبتي في فراقه، ليتسنى لنا أن نغادر هذه الأرض و نعيش معا في مكان آخر.. ولن يعلم احد أننا ذهبنا معا.. وأننا قد نذهب إلى أفريقيا أو استراليا لنعيش بعيدين عن كل من تعرفهم ويعرفوننا..

وقد عرفت من حارس الصيد أنه قد تم الفراق بينه و بين زوجته الذي تركته وذهبت مع شخص آخر، ولما قررت "كوفي" العودة إلى المنزل التقت الممرضة في الطريق وقد جاءت تبحث عنها بعد أن تأخرت، فعادت معها..

وكان " كلفورد" هو الذي بعث الممرضة للبحث عن زوجته، فلما اجتمعت إلى زوجها صاح يعاتبها على غيابها الساعات ليلا، فاعتذرت بالمطر واضطرارها إلى قضاء الوقت في الكوخ ريثما تهدأ العاصفة..

ولكنه لم يقنع وظل، قلقا، ولم يجد إلى النوم سبيلا، فأمضى الساعات يلعب الورق مع الممرضة..

حدثت "كوني" شقيقتها "هيلدا" لم ا حان اليوم الموعود للسفر، واتت إلى "رغبي" لتأخذها.. حدثتها بقصتها مع حارس الصيد، وأخبرتها أنها تريد ان تبقى في مكان يحاور هذا المنزل تقضي الليل عند عشيقها قبل أن تسافر.. ولما سألتها هيلدا مستفسرة من يكون، و علمت أنه حارس الصيد قالت لها وقد أغضبها أن تنحدر شقيقتها إلى هذا الدرك فتحب احد العمال.. قالت لها:

– سوف تندمين من جراء طيشك هذا..

وقالت كوني:

" أنها لن تندم وأنها تحب صديقها هذا وسيبقى له ا ابد الدهر.."

ولما علمت "هيلدا" بأن أختها حبلى ازداد صدرها ضيقة، وسألتها فما إذا كان "كلفورد" يشك بأمرها، فأنكرت.. فقالت لها هيلدا:

– لو كنت مكانك لتركت هذه المغامرة..

– إذا لم اقضي الليل معه فلن أذهب إلى البندقية.. ووافقت هيلدا مكرهة، واتفقنا على أن تذهبا إلى "مانسفيلد"، حتى إذا اقبل الليل، عادتا خلسة إلى "رغبي".. فتوصل هيلدا شقيقتها إلى كوخ حبيبها، ثم تعود إلى مانسفيلد..

وأخذت " هيلدا" تعطف على " كلفورد" بعد قصة شقيقتها هذه"

ولعنت العاطفة الجنسية التي تسبب كل هذه الآثام والمتاعب..

وبعد أن ودعت الشقيقتان الزوج والممرضة ذهبتا بالسيارة إلى مانسفيلد، حيث نزلنا في فندق فيه، فلما كان الليل عادتا إلى رغبي، حيث كان حارس الصيد بانتظارها، فذهبا معه إلى كوخه، حيث جلست هيلدا على كرسي، و"كوفي" على المقعد الكبير..

وقدم الحارس هيلدا قدحا من البيرا، ولكوني مثله، وقالت هيلدا:

– أتظن أن مغامرتك هذه مأمونة العواقب..؟

– نعم.. لا خوف من عواقبها..

– انك لم تفكر بالنتائج، ولم تزن الأمور والأشخاص..

– لماذا تتدخلين ما لا يعنيك.. أه ؟

ولكن لقد تذكرت.. ستصبحين بعد قليل شقيقة زوجتي.. ولهذا فمن حقك أن تسألي..

قالت: كلا لن يتحقق هذا..

– وهل تعتقدين أن الأمر يتوقف عليك..

وكان أن نهضت "هيلدا" غاضبة وذهبت إلى السيارة عائدة إلى مانسفيلد، فيما بقيت كوني مع عشيقها.. حتى إذا طلع الفجر وأنت "هيلدا" بالسيارة عادت معها.. وشقيقتها تقول لها:

– أرجو ان تبرئي من حبك هذا الوبيل في سفرتك..

توجهنا إلى لندن أو حيث اجتمعتا إلى والدهما ثم سافروا جميعا إلى باريس ففرنسا فإيطاليا..

ولم تجد " كوني " متعة في هذه السفرة، بل لقد فضلت العودة إلى "رغبي" أكثر من مرة لتجلس إلى صديقها ينعمان بالحب واللذة..

وتأكدت في سفرتها هذه، وتنقلاتها التي قامت بها من بلد إلى بلد، أن السعادة هي في الحب و مكان الحبيب..

وقصدوا البندقية أخيراً.. واستقلوا الجندول، وطلبوا من صاحبه أن يذهب بهم إلى "دارة ازمرلدا" ففعل، ولما علم أنهم يزمعون البقاء عشرين يوما في البندقية عرض عليهم أن يكون في خدمتهم طوال هذه المدة فقبلوا..

وكان النزل الذي نزلوه لرجل اسكتلندي جمع ثروة طائلة قبل الحرب في ايطاليا، فقرر البقاء والعيش فيها، وأما زوجته فكانت امرأة صفراء الوجه همها هموم زوجها ومغامراته الغرامية..

وكان في البيت ضيوف عديدون، ولكن الشقيقتان لم يألفا التحدث إليهم وتمضية الساعات معهم، فأخذتا تغادران المنزل و تقضيان سحابة النهار في الخارج، حتى إذا جن الليل ذهبتا مع والدها إلى المسارح ودور الرقص والتمثيل..

وبعد عشرة أيام جاءها كتاب من زوجها يقول فيه، أن زوجة حارس الصيد عادت إليه بعد أن هجرته طويلا فطردها وأغلق الباب في وجهها، فلما عاد إلى بيته مساء بعد أن غادره، وجدها تحتل فراشه، ولما لم تغادر

الكوخ حمل أمتعته وذهب يعيش مع أمه في القرية.. وأما المرأة فلا تزال في الكوخ لأنها تعتبره بيتها الشرعي..

ضاقت كوني ذرعا بهذه الأخبار، وكتبت إلى الممرضة تطلب منها تفاصيل جديدة، فكتبت لها هذه تؤكد ما كتبه لها زوجها، وأن حارس الصيد ينام عند أمه ويأتي إلى العمل باكرا.. وان زوجته تتنقل من مكان إلى آخر في القرية وتقول ان زوجها يستقبل السيدات في كوخه، والبرهان على ذلك زجاجة عطر غالية الثمن وجدتها في الكوخ..

وأن الزوجة لما هرب زوجها من وجهها ذهبت إلى محام وطلبت منه مقاضاة زوجها لا عائلتها وإعاشتها، وأنها تروي حكايات غريبة عن قسوته وحيوانيته، وان المرأة مجنونة وقد ترتكب جريمة ضد زوجها..

وتذكرت " كوني" رقصات عيني الحارس الغريبة فارتجفت وذعرت، ونقمت على نفسها ركوب هذا المركب الوعر، الذي سوف يوردها موارد الفضيحة والهلاك..

وأخذت تضرب أخماساً بأسداس مخافة أن يعرف زوجها بأمرها و بعلاقاتها بخادمه، وان يعلم أن الجنين ابنه، وان أباه رجل وضيع، وليس من النبلاء والأشراف..

وكتبت كوني كتاباً إلى حارس الصيد بواسطة الممرضة بولتون تعلن فيه أسفها لما حدث، وتهيب به أن يملك أعصابه الآن الأمور ستعود إلى مجاريها.. وأنها ستكون في "رغبي" بعد أيام عشرة..

ولكنها ما لبثت أن وصلتها رسالة من زوجها يقول فيها، أن فضيحة

حارس الصيد قد تطورت، وان نساء القرية قد انضموا إلى زوجته يؤيدونها، وأن الزوجة قد ذكرت اسمها واتهمتها بان لها علاقة بزوجها، وانه اضطر اثر هذه الحالة وهذه الفضيحة إلى التخلي عن حارس الصيد، الذي غادر رغبي بعد أن درب حارس مكانه ليقوم مقامه..

كما تناولت كتابة من الحارس يحدثها بما وقع له، وانه غادر "رغبي" إلى لندن... ليعيش في غرفته القديمة في حي "كو بي" رقم ١٧..

غادرت العائلة البندقية إلى باريس، وحدثت كوفي والدها بأنها حامل، وان الطفل ليس من زوجها، وان زوجها مستعد لتدنيه، ولكنها لا تريد أن تعطيه إياه..

فعارض والدها في ذلك ونصحها بان لا تبدل من حياتها شيئا، وان عليها أن تلزم قرية " رغي "... لان هذه باقية وأما العشاق فيتبدلون و يتغيرون .

ولما وصلوا إلى لندن وجدت في الفندق كتابا من "ميلورد" الحارس يقول فيه، أنه لن يذهب لزيارتها في الفندق، ولكنه سينتظرها خارج حانة " الديك الذهبي في الساعة السابعة من هذا المساء..

وحين اجتمعت إليه وحدثها بما وقع كان ما قاله أن أحداً لم يصدق في "رغبي" الإشاعة التي نشرتها زوجته عن علاقاتهما..

وأخيراً أخبرته أنها حامل، وان الولد ولده، وأنها تريد ان تظل معه.. لا أن تذهب إلى "رغبي"... وتهب الولد إلى من لا ولد له.. ولا هو بوالده..

وقال الحارس:

– ولكني لا املك شيئا أقدمه لك فانا رجل فقير..

– أني لست بحاجة إلى مالك وإنما إلى حبك.. وعاطفتك..

– ان المال مالك والمركز مركزك، وستكونين انت الفعالة لما تريدين، وأما أنا فسأكون عشيق سيدتي..

– ان فيك عقدة خطرة..

– هو ما تقولين.. أني احسب ان لي وجودة، وقد ينكر الناس على ذلك..

– وهل تفقد وجودك إذا عشت معي ؟

– نعم قد يقع ذلك..

– ولكنك تملك الشجاعة التي لا يملكها غيرك.. وأنا أريدك أن تأخذني بين يديك، وان تقول لي انك مسرور، لأني سأنجب لك طفلا..

وكانا يسيران في الشارع وهما يتحدثان، فلما وصلا إلى غرفته مسح " ميادرد" الحارس على خدها بأصابعه وقال:

– سأتركك وحدك الآن..

– بل ستبقى معي، واعلم أنك ستصبح عما قريب أية، فكن أباً طيباً رقيقاً، وهذا يكفل للابن مستقبلا رائعة..

انتعش الشاب، وشعر انه يحب هذه المرأة أعظم حب، وانحنى يقبلها..

وقالت كوني:

– أني سأعود إلى "رغبي" وسأبقى هناك ستة أشهر، وأظن أن طلاقي سيقع في أيلول، وبعد ذلك علينا أن ننتظر حتى شهر آذار، لأني أتوقع ان أضع الطفل في شهر شباط..

وتم الاتفاق على ذلك..

وتحدثت كوني إلى والدها بسرها، وكيف أن صديقها هو حارس الصيد، وأنها تريد الطلاق من زوجها، ولن يوافق كلفورد على الطلاق، إلا إذا عرف ان زوجته تخونه علنا، وصار الاتفاق مع احد أصدقاء العائلة على ان تنزل كوني في منزله، وتكتب لزوجها خبرها معه.. وطلب الزوج زوجته لما وصلته الرسالة، ولما اجتمعا أنبأها انه لن يطلقها، وانه يفضل أن تضع طفلها في منزله، وان تبقى معه وتحافظ على كرامتها..

وأما حبك لدنكان صديقك هذا فزوبعة في فنجان، بل هو شيء غير منتظر... و عندئذ اعترفت له بالحقيقة، وأخبرته أنها تحب حارس الصيد، وان علاقاتهما بدأت منذ الربيع الماضي..

وثار الرجل ثورة عظيمة..

ولكنه لم يكن يستطيع شيئا..

وسألها:

– وهل ستتزوجين هذا الرجل ؟

– نعم سأتزوجه.. ولهذا أرجو ان تطلقني..

– اذهبي إلى حيث شئت.. ولكني لن أطلقك..

– أتريد إذلالي بعنادك ؟

– لك أن تظن بي ما تشائين...

وتركته كوني غاضبة باكية..

وفي اليوم التالي غادرت المنزل هي وشقيقتها هيلدا وكانت قد أتت معها للاجتماع إلى زوجها، حيث ذهبنا إلى سكوتلندا..

ومضى "ميلورد" إلى الريف فعمل في مزرعة، وكلف احد المحامين ليسعى إلى طلاقه من زوجته..

ومضى يعمل بجد ونشاط، ويتعلم دقائق الزراعة حتى لا يصبح عالة على كوني متى اقترنا.. وحتى يكون بارعا بعمله متى ابتاعا لها مزرعة خاصة.. كما دار الاتفاق بينهما..

وهكذا كتب عليها أن ينتظرا حلول الربيع وإقبال الطفل..

كتب عليها أن يفترقا حتى مطلع الصيف، ليجتمعا بعد ذلك زوجين متحابين..

بعد ان تمكن كل واحد منهما من الحصول على الطلاق، الأول من زوجته، والثانية من زوجها..

ومتى أحب رجل وامرأة نسيا الناس، وتجاهلا لغط الأفواه، ومتى التقي قلبان... فلن يفترقا..